جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

28 من جمادى الآخرة 1439هـ
16 من مارس 2018م

(1)

البر والوفاء

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد :

فإن البر والوفاء من القيم الإنسانيّة والأخلاقيّة المثلى ، التي تورث الطمأنينة والثقة في نفوس الأفراد ، وتؤكد أواصر المحبة والتعاون في المجتمعات ، فالبر: اسم جامع لكل خصال الخير ، ولكل فعل مَرضِيٍّ عند الله وعند الناس ، وجماع ذلك كله في حسن الخلق ؛ لذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ) ، كما أن الوفاء والاعتراف بالفضل والجميل لأهل الفضل خلق أصيل لا يتحلى به إلا النبلاء ، وواجب جليل لا يتخلق به إلا العظماء.

ولقد كان لأنبياء الله ورسله (عليهم السلام) الحظ الأوفر من البر والوفاء ، وفي مقدمتهم نبي الله إبراهيم (عليه السلام) الذي امتدحه القرآن قائلًا: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، وقال في شأن سيدنا يحي (عليه السلام): { وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا }.

والمتأمل في سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) يرى أروع الأمثلة للبر والوفاء في مختلف صوره ، ومن ذلك: **برّه (صلى الله عليه وسلم) ووفاؤه للسيدة خديجة (رضي الله عنها)** ، حتى أن أهل السير سمّوا العام الذي توفي فيه عمه وزوجه خديجة (رضي الله عنها) بعام الحزن ، وظل النبي (صلى الله عليه وسلم) وفيًّا لذكراها ، لا يسأم ولا يمل من الحديث عنها ، والثناء عليها ، والاستغفار لها ، وإكرام صديقاتها ، قالت عائشة (رضي الله عنها): جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ أَنْتِ؟) قَالَتْ: أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ قَالَ: (بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟) قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَتْ: فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ قَالَ: (إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ) .

ومن ذلك: **برّه ووفاؤه (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه** ، حيث أوصى الأمة كلها بأصحابه، ونهى عن سبهم وإيذائهم ، فقال(صلى الله عليه وسلم): (اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ ، وَمَنْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ).

ومن المواقف الخالدة الدالة على صدق وفائه (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه: حينما وقف (صلى الله عليه وسلم) يطيب خاطر الأنصار بعد قسمة الغنائم في حنين قائلًا لهم: (...أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ.....أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا ، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ ، اللهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ) ، فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

ومن ذلك: **برّه ووفاؤه (صلى الله عليه وسلم) لأمته كلها** ، فلا يرضى (صلى الله عليه وسلم) وأحد من أمته في النار ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله

(صلى الله عليه وسلم) تَلَا قَوْلَ اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ) فِي إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) : {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي} ، وَقَولَه تعالى في عِيسَى (عليه السلام): {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: (اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي)، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ): (يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟)، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: (يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نسوؤكَ).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا).

وكما كان (صلى الله عليه وسلم) برًّا وفيًّا لأصحابه وأمته ، كان كذلك (**برًّا وفيًّا مع مخالفيه** ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يحفظ الجميل لكل من له فضل عليه ، ففي يوم بدر يتذكر النبي (صلى الله الله عليه وسلم) المُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ ذلك الرجل الذي دخل النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) مكة في جواره بعد عودته من رحلة الطائف ، فيقول (صلى الله عليه وسلم): (لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ)، يقصد أُسَارَى بَدر .

ومن صور برّه ووفائه (صلى الله عليه وسلم) أيضًا : **برّه ووفاؤه لوطنه** ، فها هو (صلى الله عليه وسلم) على الرغم من إيذاء أهل مكة وتكذيبهم له إلا أنه يقف ليلة الهجرة، وينظر إليها ويقول: (إِنَّكِ لأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، ولولاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ) ، وبعد الهجرة يدعو (صلى الله عليه وسلم) للمدينة، ويقول: (اللَّهُمَّ

حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ) ، ولا شك أن الوفاء والإخلاص للوطن من شيم النبلاء والعظماء ، يقول الأصمعي: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه.

ولله درّ القائل:

إن الوفاء على الكريم فريضة   واللؤم مقرون بذي الإخلاف
وترى الكريم لمن يعاشر منصفًا   وترى اللئيم مجانب الإنصاف

ويقول الآخر :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا   من كان يألفهم في المنزل الخشن

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

*   *   *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

إخوة الإسلام:

إن من أرقى وأنقى صور البرّ والوفاء البرّ بالوالدين ، والوفاء لهما ، وإن الشرائع السماوية كلها دعت إلى بر الوالدين والوفاء بحقهما ، وإن الله (عز وجل) أمرنا أن نقتدي برسله الكرام ، فقال سبحانه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} ، ولقد كان رسل الله جميعًا في غاية البر مع آبائهم ، فهذا نوح (عليه السلام) دعا ربه : {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا} ، وإبراهيم (عليه السلام) دعا قائلًا: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ*رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} .

وقال في شأن برّ إسماعيل (عليه السلام) بأبيه: { يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} ، وعن برّ نبيه عيسى (عليه السلام) بأمه قال تعالى: { وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} .

بل وأمر الله (عز وجل) الناس عامة ببر الوالدين فقال سبحانه:{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا*وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}، والمتدبر في هذه الآية الكريمة يرى لفتة إنسانية واجتماعية تميز بها الإسلام في حديثه عن بر الوالدين ، في قوله تعالى { إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا} ، ففيها ما يُشعر بضرورة أن يكون الوالدان في كنف أبنائهم ، وتحت عنايتهم عند الكبر ، لا سيما وأن تلك المرحلة إنما هي مرحلة الضعف التي يحتاج الإنسان فيها إلى عظيم عناية ورعاية .

كذلك يرى المتدبر لكتاب الله (عز وجل) أن الدعوة إلى بر الوالدين جاءت مقرونة بالدعوة إلى توحيد الله (عزّ وجلّ) في ست آيات من كتاب الله ؛ وذلك لعظم منزلتهما ، وجليل قدرهما ، فرضا الله (عز وجل) من رضا الوالدين ، وسخطه من سخطهما قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (رِضَا اللهِ مِنْ رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللهِ مِنْ سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ).

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: (ثَلَاثُ آيَاتٍ نَزَلَتْ مَقْرُونَةً بِثَلَاثٍ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهَا وَاحِدَةٌ بِغَيْرِ قَرِينَتِهَا، الأولى: قَوْله تَعَالَى:{أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}، فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَلَمْ يُطِعْ رَسُولَهُ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ. وَالثَّانِيَةُ قَوْله تَعَالَى : {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}،

فَمَنْ صَلَّى وَلَمْ يُزَكِّ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ. والثَّالِثَةُ قَوْله تَعَالَى :{أَنْ اُشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ}، فَمَنْ شَكَرَ اللَّهَ وَلَمْ يَشْكُرْ وَالِدَيْهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ}.

ولا ينال من بر الوالدين وحقهما أن يكونا على غير الملة ، قال الله تعالى: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} أَيْ بِالْمَعْرُوفِ، وَهُوَ الْبِرُّ وَالصِّلَةُ وَالْعِشْرَةُ الْجَمِيلَةُ ، وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) ، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: (نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ).

وإن من أبر البر كما أخبر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن يصل الإنسان من كان يصلهما والداه من أقارب وأصدقاء ، فعنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً ، كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ إِنَّهُمُ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ) .

ومما لا شك فيه أن حق الأم في البر أعظم من حق الأب ، فقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟، قَالَ : (أُمُّكَ) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟، قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ)، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟، قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ)، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟، قَالَ: (ثُمَّ أَبُوكَ). وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سألت النبي (صلى الله عليه وسلم) أي الناس أعظم حقا على المرأة ؟. قال: (زَوْجُهَا). قلت: فأي الناس أعظم حقا على الرجل؟. قال: (أُمُّهُ).

وجَاءَ رجلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ ، فَقَالَ : (هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا) .

فلنكن بارين بآبائنا وأمهاتنا ، أوفياء لهما ، ولنوقن بأن البر دين يسدد في الحياة قبل الممات مصداقًا لقول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اثْنَانِ يُعَجِّلُهُمَا اللَّهُ: الْبَغْيُ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ) ، وفي الحديث : (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ، وَلَا عَاقٌّ وَالِدَيْهِ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟) ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ).وما أحرانا أن نكون أوفياء لديننا ، ووطننا ، وأمتنا ، ولمن يبذلون أرواحهم فداءً للدين والأرض والعرض من أبناء قواتنا المسلحة البواسل ، ورجال الشرطة الشرفاء .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق ، وارزقنا البر والوفاء
والإحسان إلى الوالدين في حياتهما وبعد مماتهما